الأصل الثاني: هَدْيُ القرآن الكريم

إلى توحيد الله تعالى

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب

(هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان)

من الصفحة ٨٦ حتى الصفحة ٩٦

للشيخ الإمام

عبد الله سراج الدين الحسيني

بناءً على توجيهات ولده

المهندس الشيخ

محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد

WWW.SRAJALDEN.COM

قسم: كتب الإمام

تحميل كتب الإمام وتحميل أبحاث مختارة

مدير الموقع:

الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

الأصل الثاني: هَدْي القرآن الكريم إلىٰ توحيد الله تعالىٰ:

وهو الإيمان بأنَّ الله تعالىٰ هو واحد، بِمَعْنىٰ أنه لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وإلىٰ هذا الأصل الإيماني هَدَىٰ الله تعالىٰ عباده بقوله: ﴿ ۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وفي هذه الآيات وأمثالها هَدْيٌ للإيمان بوحدانية الله تعالىٰ، ثم أتبع الله تعالىٰ ذلك بذكر البينات من الهُدىٰ فقال سبحانه بعد قوله: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قال في بيان الأدلة علىٰ ذلك وهي البينات من الهدىٰ:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يَعْقِلُونَ﴾.

ففي هذه الآيات الكريمة يذكر سبحانه بيِّناتٍ من الهُدى ستةً

مشهودة بالعيان ، ثابتة بالبُرهان ، يعقلها كل عاقل ، ويبصرها كل من أبصر .

فالأولىٰ: هي خلق السماوات والأرض ، وهما العالَمَان المحيطان بهذا الإنسان ، سماءٌ تظلُّه وأرض تُقلُّه ، وما أودع فيهما من الآيات والمُبْدَعَات .

فلينظر العاقل إلىٰ السماء فوقه كيف بُنيت ورُفعْت ، وإلىٰ الأرض كيف سُطِحتْ ، ولينظر فيما أودع الله تعالىٰ في السماوات والأرض من الآيات ، قال تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فحثَّ عباده وأمرهم بالنظر في آيات السماوات والأرض ، قال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

والنظر في آيات السماوات والأرض هو التفكُّر والتدبر ، ليقف العاقل فيها علىٰ ما هي عليه من إثباتات ودلالات ومستلزمات ، مِنْ أَنَّ لها صانعاً عليماً حكيماً ، حيَّاً قديراً ، لأنها مصنوعة في أحسن الصُّنع ، والصنع يقتضي صانعاً ، إذ لا يتصور مصنوع بلا صانع ، ولا يتصور الصنع من الصانع إلا إذا كان عالماً بالمصنوع قبل أن يصنعه ، قادراً عليه حكيماً ، فلا بُدَّ في هذا الصانع أن يكون عليماً حكيماً قديراً ، وهذه الصفات تستلزم أن يكون من بابٍ أولىٰ أن يكون حيَّاً يُرِيد ويختار ، وله الاقتدار .

فلينظر العاقل إلىٰ كواكب السماء ، وانتظام سيرها في أفلاكها ، مع عظم أجرامها وأحجامها ، تقطع المسافات الشاسعة في أقصىٰ سرعة دون أن يَختلَّ نظام سيرها ، أو يختل نظام جرمها ، أو تخرج عن محيط فلكها ـ أي: طريقها الذي تسبح فيه ـ مع كثرة

الكواكب ، فلا يحصل بينها اضطراب ولا احتكاك ، على مدى الدهور والعصور إلى يوم القيامة.

إذاً مَنِ الذي رَفع السماء ، وسيَّر كواكبها ، ونظَّم لها سيرها في أفلاكها ، وأعطَاها قوة السير والسرعة ، وأودع فيها معادنها المعيَّنة لها ، وجوّها المناسب لها.

إذاً لا بدَّ للمتحرِّك من مُحرِّك ، ولا بدَّ للمتخصِّص من مخصِّص.

فَلِمَ اختص هذا الكوكب بالبرودة وذاك بالحرارة ، وذاك بالرطوبة وذاك باليبوسة ، وذاك في بُعده عن الأرض كذا وكذا من الأبعاد ، والآخر أبعد منه ، وهذا الكوكب موقعه في جهة كذا ، والآخر في جهة كذا ، وهذا يُشرق في وقت كذا ويَغرب في وقت كذا ، والآخر يخالفه في الشروق والغروب.

إذاً لو كان طبيعة ـ أي: بطبيعة حالها ـ لتساوى الكل في ذلك ، ولَمْ يحصل شيء من الاختلاف في ذلك ، فَإن مُتقضىٰ الطبع والطبيعة واحد.

إذاً لا بدّ من إلَهٍ عليم حكيم قدير ، خَصَّص كلَّ كوكب بخاصة ، وأوقع كلَّ كوكب في أبعاد معينةٍ بالنسبة لعالَم الأرض ، وبالنسبة لبقية الكواكب التي في مستواه ، أو فوقه ، أو دونه ، وذلك تقدير العزيز العليم الذي قال: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

فمهما علم الإنسان من الحكمة في إيقاع الكواكب مواقعَها المقدَّرة والمعيَّنة لها ، فإنَّه ما علم إلا الشيء اليسير ، فَإنه علم

شيئاً وغابت عنه أشياء ، ولذا قال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أي: فهناك أمور جِسام وحِكَم عِظام لَمْ تعلموها.

وسيأتي الكلام على عالَم النُّجوم في موضعه إن شاء الله تعالى مفصلاً.

الثانية: اختلاف الليل والنهار ، فإن الأمور حينَ تختلف فإنها دليل على وجود من يُخالف بينها ويتصرَّف فيها ، فإن التبدل والتغير دليل على وجود من يبدِّل ويغيِّر ، وفي اختلاف الليل والنهار تقسيم للزمن حسب مصالح البشر في حياتهم ومعاشهم ، وتنظيم لمجتمعهم وأوقات عملهم وراحتهم.

وهذا الاختلاف يشمل تخالفهما إثرَ بعضهما ، وتعاقبَهما الحثيث ، وإلىٰ ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾.

ويشمل اختلافهما في الطول والقصر صيفاً وشتاءً ، وفي ذلك حِكَمٌ عظام ، ومصالح جسام ، تعود علىٰ العباد بالمنافع الصِّحيَّة البدنية ، والفوائد المعاشية إلىٰ غير ذلك.

ويشمل اختلافهما علىٰ سطح هذا العالَم الأرضي ، بأن يكون هناك نهار وهناك ليل ، وفي هذا دليل علىٰ قدرة الخالق البارىء المدبِّر الحكيم سبحانه وتعالىٰ ، الذي أدارَ الكواكب بانتظام حول عالَم الشمس ، بانتظام وتقدير وإحكام ، دون خلل ولا فساد ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾.

وقد قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لهرقل حين أرسل إليه يسأله: إنك دعوتني إلىٰ جنةٍ عرضها السماوات والأرض فأين

النار؟ فقال له صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار»؟.

يعني: أَنَّ مِنَ المعلوم بداهةً أنَّ النهار إذا كان في جانب من الأرض فالليل في الجانب الآخر، وهكذا العكس، فهما أمران مُتَتَابِعان يختلفان علىٰ سطح الأرض.

الثالثة: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾.

وفي هذا آيات مشهودة دالة علىٰ قدرة وجود الله تعالىٰ وحكمته، وذلك أنَّ هذه الفُلك التي تجري في البحر كالأعلام، أي: كالجبال في ضخامتها وثقلها بالأمتعة والمشحونات الثقيلة الكثيفة، وإذا بها يُقلُّها الماء اللطيف ويحركها، ويُسَيِّرها الهواء أو البخار اللطيف، فكيف هذا الماء اللطيف يحمل هذا الثقيل الكثيف؟! وهذا الهواء أو البخار اللطيف يُسَيِّر هذا الكثيف؟! ويقطع به المسافات الشاسعة ذات الليالي والأيام الواسعة.

نعم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، تُشْهِدُهم قُدْرَة الله تعالى وحكمته، الذي أمسك بقدرته هذا الماء، وشدَّ بقوته هذا الهواء، فصار اللطيف قوياً يحمِل الكثيف، وإلىٰ هذا يُشير قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ أي: يُهلكْهنَّ ﴿بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾.

وفي هذا مشهد ظاهر يدلُّك أنَّ اللطائف التي تَحْمِل وتُحرِّك الكثائف، مع أن تلك اللطائف لا تُمسُّ ولا تُمسَك، بل ولا تُرىٰ

كالهواء ، فإن العين الباصرة لا ترىٰ عين الهواء وإنما ترىٰ ما يحمله الهواء من غُبارٍ وهَبَاء.

وخذ مثالاً علىٰ ذلك: الروح مع الجسم ، فإنَّ الجسم ثقيل كثيف تحركه وتحمله الروح اللطيفة. . . إلخ.

الرابعة: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾.

وفي هذا تنبيه للعقلاء وتبصير لهم بالحق ، وذلك بأن يتفكَّروا في هاتين الآيتين المشهودتين:

أُوْلاَهُما: هَذَا الماء النازل مِنَ السماء كيف كَوَّنَه وقدَّره الله تعالىٰ وأنزله ، بعد أَنْ كان في جَوِّ السماء بُخاراً ، بل قبل أن يكون بُخاراً لَمْ يَكُ لَهُ أَثَرُ وجود مشهود ، فكيف أنشأ الله تعالىٰ تِلْكَ الأبخرةَ ، ثُم ساقَهَا إلىٰ بعضها ، ثم ألَّف بينها ، ثم جَعلَها رُكاماً فوق بعضها ، وكَثَّفها ، ثم أنزل ذلك الماء من خلالِها.

وإلىٰ هذه الأطوار والتَّحوُّلات التي أجراها الله تعالىٰ بقدرته أرشدنا الله تعالىٰ بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾.

فهو سبحانه الذي يُنشىء السحاب الثِّقَال بالمياه الكثيرة ، والأَمطار الغزيرة ، ويحملها علىٰ متن الرياح التي يُقلِّبها كيف يشاء ، ويسوقها حيث يشاء ، وهذا أمر مشهودٌ لدىٰ العيان ، وكم في ذلك آيات لقوم يعقلون.

قال تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

الثانية: الآثار الناشئة عن هذا الماء النازل من السماء، فَأَحْيَا بِهِ الأرض بَعْدَ مَوْتِهَا، وأخرج به أَزْوَاجاً مِنْ نَباتٍ شَتَّىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ أي: العقلاء الذين تنهاهم عقولهم عن كل رديئةٍ، وتحملهم علىٰ الفضيلة.

وأخرج به ثمراتٍ مختلفاً ألوانها قال تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

فالماء النازل من السماء واحد، ولكن آثاره مختلفة: نباتاً وأشكالاً وألواناً وطعوماً، وفصولاً زمنية، إذاً لا بدَّ من قدرة قدير، وخبرة خبير، وعِلم مَنْ هو بكل شيء عليم، وحكمة العزيز الحكيم، ألا وهو الله تعالىٰ رب العالمين، الذي أشهد عباده آثار صُنعه وآثار صفاته، قال تعالىٰ: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾.

فلو كان الأمر طبيعة لما اختلفت آثارها، ولما تنوَّعتْ نتائجها، وإلىٰ هذا نبهت الآية الكريمة حيث يقول سبحانه: ﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ﴾ أي: فالمادَّة التي تستمدّ منها تلك النباتات

والأشجار واحدة ، فكيف تنوَّعَتْ واختلفتْ ، فجاء الجواب بقوله تعالىٰ: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فالذي ينوِّعها ويُلوِّنها ويكوِّنها ويكيِّفها هو الله تعالىٰ.

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ عطف علىٰ ما سبق.

والمراد من كل دابةٍ ، كلُّ نوع من أَنواع الدوابِّ ، ومعنىٰ بثِّها: تكثيرها بالتوالد والتولد ، ولا شكَّ أن في خلق تلك الدوابِّ المتنوعة وإعطائها صورها المناسبة لها ، وهدايتها لنظام معاشها وتوالدها وغذائها ، وهدايتها لما ينفعها مما يضرُّها ، وربط نظام تعايشها مع بعضها؛ في ذلك آيات لقوم يعقلون.

كما نبَّه الله تعالىٰ العقلاء إلىٰ ذلك بقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ أي: في تعايشها ونظامِها وانتظامها ، سواء في ذلك النمل والنحل فما فوق ذلك ، قال تعالىٰ: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

فما مِن حُجْر نمل إلاَّ وله قيادة ونظام وإمارة ، وما من كوارة نحل إلاَّ ولها نظام وقيادة تقودها ، وهكذا كما قال تعالىٰ: ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾.

وفي الحديث الصحيح: «قَرصتْ نملة نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله تعالىٰ إليه أن قَرصتْك نملة ، أحرقتَ أمةً من الأُمَمِ تُسَبِّح».

قال تعالى في تلقينه الحجَّة لموسىٰ على فرعون: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ فهدى سبحانه بالهَدْي العام جميع

الدوابِّ والطيور وأنواع الحيوان ، إلىٰ نظام غذائها ومعاشها وتوالدها ، وتربية نسلها ، وإلىٰ معرفة ما ينفعها وما يضرُّها ، كما أنَّ في بثِّ تلك الدوابِّ وتسخير بعضها لبني آدم ينتفع بلحومها أو حَليبها ، أو الحمل عليها وركوبها ، أو في الاصطياد منها ، أو الانتفاع بحراستها كالكلاب ونحوها ، أو في الانتفاع بأشعارها وأوبارها ونحوه ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ .

الخامسة: قال تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ أي: وفي تقليب الله تعالىٰ للرياح ، وتنويعه لها في اتِّجاهاتها جَنوباً وشمالاً ، وَقُبُوْلاً ودبوراً ، وفي تنويعها حارَّةً وباردةً ، وعاصفةً ورُخاءً ولينة ، ولواقحَ وعقيماً ، وإرسالها بالرحمة أو بالعذاب ، إلىٰ غير ذلك ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ .

السادسة: قال تعالى: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ .

والسَّحاب: اسم جنس واحده سحابة ، وسُمِّيَ بالسحاب لانسحابه في الأجواء والفضاء ، أو لجرِّ الرياح له وانسحابه معها. ففي إنشاء الله تعالىٰ له كما قال تعالىٰ: ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ وضَمِّه بعضها إلىٰ بعض ، وتكاثُفِهَا فوقَ بعضها ، وتحميلها الأمطار الغزيرة وإنزالها منها ، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ .

في ذلك كله آيات عظيمة لقوم يعقلون ، فيعلمون أَنَّ لها ربَّاً خَالِقاً حكيماً عليماً بكل شيء ، قديراً علىٰ كل شيء ، أتقن صُنع كلِّ شيء سبحانه وتعالىٰ.

وهكذا يبين سبحانه وتعالىٰ آياته للناس ، وفيها بيِّناتٌ من

الهدىٰ إلىٰ الإيمان ، بوجوب وجوده ووحدانيته سبحانه فيقول:
﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾؟! أي: إلىٰ أين تَذْهب عقولكم وتُصرَف ، ففكروا فيما تشاهدونه من هذا التخليق والتطوير والتدبير الكوني الذي تعاينونه ، واعقلوا ما فيه من البيِّنات والدلائل علىٰ وجود بارئه وخالقه ومدبِّره.

فَإن سألتم عن الله تعالىٰ وقُلتم مَنْ هو الله ؟! فهذا جوابكم:
﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾.

ويقول سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ أي: ومن الآيات الدالة على وجوب وجوده ووحدانيته ، التي فيها البينات والحجج القاطعات أن الله تعالىٰ خلقكم من تراب ، ثم طوّركم وخلقكم خلقاً من بعد خلق ، فإذا أنتم بشر تنتشرون ، وقد فصَّل سبحانه تلك الأطوار والأدوار التي قلَّبه فيها فقال:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾.

ففي هذه الآيات الكريمة أصناف من البيِّنات ، يقيمها الله حجةً علىٰ وجوده ووحدانيته ، وذلك أن هذه الأطوار ثابتة عندكم ،

وهذه التقلُّبات مشهودة لديكم ، لا تشكُّون فيها ، فَمَن المُطوِّر لها ؟ ومَنْ هو المقلِّب لها ؟ ومَنْ هُوَ المصوِّر لها ؟ ومَنْ هو المُمِد لها بالغذاء والماء ؟ إذاً لا شكَّ في وجود الله تعالىٰ ، قال تعالىٰ: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ أي: لا شكَّ في وجوده ووحدانيته أصلاً.